على ان القرائن تدل ان جوف الارض سائل فان حرارة جوفها كافية لتذويب اصلب الجلاميد المعروفة . غير ان هذه الحرارة تشع في الفضاء وتبرد وكلما بردت هذه النواة تقلص حجمها . فالقشرة للسبب المذكور تتبع النواة في التقلص . فتغور من جانب وتجحظ من جانب آخر فتكون عن ذلك الاودية والجبال . وقد تتنهد فيهتز المعمور او تنفث ما في صدرها فتنفجر البراكين

ثم ان تقلصها وفتور حرارتها على اقصى درجة من البطء والفتور فقد تنقضي ملايين من السنين ولا ينتهي شأنها هذا . وليست تنتهي زلازلها دونه

اما مركز هذه الزلازل فيقدر على عمق ٨ او ١٠ اميال حيث يتهدم شيء من قشرة الارض وان تأثير هذا التهدم يجب ان يظهر في منطقة تشمل اواسط اميركا وشرقي الهند وجزر اثور وايطاليا والعجم واسبانيا وسوريا والافغانستان وتيبت واليابان وجزر هاواى . ومع الوقت يسكن جاش هذه المنطقة فتهمد وربما اتت اذ ذاك نوبة انكلترا وغيرها

كتاب اولادي

تأليف المسيو بول دومر

رئيس مجلس النواب في فرنسا سابقاً

هو كتاب نفيس صنفه المسيو بول دومر رئيس مجلس النواب سابقاً في فرنسا وقد ضمنه فصولا وابحاثاً مهمة في التهذيب والمواضيع الاجتماعية والاخلاقية وقد استأذنا جنابه بنشره فاذن وجعل حق نشره خاصاً بمجلتنا ولذلك رأينا نشر فصوله تباعاً افادة للقراء بمحتوياته العديدة النافعة

مقدمة الكتاب

ان التهذيب الادبي والقومي الذي يتلقاه طلبة العلم في المدارس او في الكليات العليا او سواها من التعليم والتربية هو في الغالب قليل المادة ضعيف الاساس بحيث كان يبقى حليف النقصان لولا مايكتمل به مما يكسب فيما بعد من دروس الاسرة ومطالعة الكتب ومواعظ الزمان وفيها ما يدعو الشبيبة الى الاعتبار والتأمل متى هدأت سورة الاحلام واتسعت دائرة الافهام

ولا بد لمن تدفعهم ضرورة الحياة الى الانطلاق باكراً في ميدان جهادها والذين سمحت لهم ظروفها باستتباع دروسهم الى سن الرجولية

فاظلتهم سماء الاسرة طويلاً ان يحتفظوا مما رأوه او سمعوه فيها طابعاً لا تمحى على كرور الليالي أثاره ويدوم على ممر الايام تذكاره

وهكذا شأن الكتب فانها قد تكون ذات تأثير شديد في انشاء الشبيبة على المبادىء الادبية الحقة ولقد خبرت الامر بنفسي فوجدت ان ماطالعته بين السادسة عشرة والعشرين من عمري كان العامل القوي في دفعي الى انتهاج الطريق التي سلكتها في الحياة والتزام القواعد الثابتة التي قررتها لنفسي فبقيت رائدي ودليلي مدة ثلاثين سنة لا تحولني عنها عواصف الدنيا وتقلبات الاحوال

ولقد حدا بي هذا التذكار وتلك المحادثات التي تبادلتها مع اولادي وما انطوت عليه من ارشاد ونصح الى كتابة هذا الكتاب للشبيبة . ولقد نشرته غير محاول ان اجعله سفر حكمة اوخزانة تهذيب بل خلاصة ما يدور بين والد واولاده في سياق الحديث السائر ولقد سميته كتاب اولادي ولكنه في الحقيقة كتاب الشبيبة متى بلغت عمر الرجال وهمت ان تنطلق في ميدان الحياة

ولكن ماذا يكون يا ترى حظ هذا الكتاب وما عسى يكون للكلمات او الوصايا التي احتواها من الوقع والتأثير على العقول والاذهان على انه مهما يكن الامر فحل متمناي ان يشعر قارئوه بعاطفة الاخلاص الصادقة التي اختلجت في صدر كاتبه وقد املاها عليه الحب والرجاء وان يجدوا فيه ذكرى ما القاه عليهم الوالدون والمهذبون من التعاليم وغرسوه فيهم من المبادىء وصدى صوت الوطن يردد الآمال التي عقدها على ذكائهم واخلاقهم واقدامهم وان يتمثلوا في خواطرهم مكانة رجل القرن العشرين حتى اذا تمثلوه وقد

ازدان بالعالي من الكمالات والكريم من الاخلاق والشريف من المبادىء نصبوه اماماً يأتمون بمثاله وعلماً يسيرون تحت ظلاله

ويلوح لي ان هذا الكتاب سيكون على صغر حجمه ولا فخر وافر النفع جزيل الفائدة من حيث انه يبعث الثقة في نفوس الشبان عند دخولهم في معترك الحياة فينطلقون فيها بقدم ثابتة نشيطة وقد رسموا خطتهم واخذوا اهبتهم وهيأوا عدتهم وتعادلت قواهم العقلية بقواهم البدنية وتطوعوا من قبل لتحمل اعباء الواجبات وفقهوا ما في القيام بها عن طيب خاطر من الدلالة على شرف النفس وعلو الهمة ومن الشعور بجمال العمل وسعادة العيش والهناء الصادق

وسيكون من جملة ما يوصيهم به هذا الكتاب وجوب تقديم اميال الشعور واهوآء النفس وبدوات الرغبة وتعهد الجسم والصحة بالصيانة والعناية الدائمين بمقتضى قواعد الحكمة القديمة القاضية بان يكون العقل السليم في الجسم السليم

وهكذا اذا اندفع الشبان في الحياة والسلاح الذي يحملونه قد عالجته يد الصيقل والجسم والعقل سليمان فانهم يستطيعون ان يستخدموا هذه العدة في مجال العمل على جميع مظاهره وحالاته لا فرق بين عمل الرجل الفرد رب العيلة الذي يشتغل لذويه ويتولى شؤونهم وتربيتهم او عمل الوطني المنصرف بكليته الى الحياة العمومية المهتم بترقية بلاده واستقلالها ورفعها في سبيل العلاء

فاما افراداً فانهم يحبون ان يكونوا من ذوي العدالة والاستقامة والتساهل وان يجمعوا الى ذلك صفات التبصر والحزم والنشاط وان يحرصوا

اشد الحرص على عاطفة الشرف وعلى حب كل ما حوى معنى الجمال والخير والعظمة وان ينفروا من الشر وينبذوا الافكار الساقطة والاعمال السافلة الدنيئة والكذب والجبن واللذات التي تدني الى الحيوان وتحط من كرامة الانسان . ثم يستمرون على تعهد اجسامهم بالرياضة البدنية وتمرينها على تحمل التعب سواء كان لاكتساب اول ما يتحتم على الجندي استيفاؤه من الشروط اللازمة لخدمة وطنه او لخدمة نفسه بالتغلب على المخاطر التي قد تعترضهم في بعض الاحيان . ولا تحفظ الصحة الا بالاعتدال والارادة الثابتة فاذا ادركوا هذه الامنية ابعدوا عنهم كثيراً من جرائم الادواء والعلل التي تتهدد الاجسام الضئيلة والافكار القلقة فلا يجزعون لاقل عارض من هذه العوارض العديدة التي لا ينجو الجسم منها ولا تدفع عنه والتي لا تجسم فتصير داء عضالاً الا اذا اعارها الانسان التفاتاً كبيراً واطال تأمله فيها وامعن في التخوف منها

على انه اذا احببنا ان يكون اولادنا رجال بأس وبسالة فلا يكون ذلك للمدافعة عن انفسهم فقط بل ليتعلموا ان يقتحموا بسكينة وشجاعة وبلا زهوٍ ولا افتخار مواقف الخطر التي يحجم عنها الجبان ويرتد عنها الضعيف وليقدموا متحملين التبعة والعمل الشاق والتعب والخطر حتى الموت . نعم ان الحياة محبوبة ولكنهم لا يزيدون في اعتبارها الى درجة ان يترددوا في تضحيتها بلا اسف عليها في سبيل الامة او الاسرة او الغير وقد احدق بهم الخطر . والحقيقة ان الرجل لا يكون عظيماً الا اذا رأى الموت عن كثب وتفرسه دون ان تأخذه منه رعدة او يتولاه خوف وهو ما يجب على الكل ان يتلقوه بمثل ذلك كيفما كانت الظروف التي يتمثل بها

الموت وايا كان الشكل الذي يبدو به لا فرق في ذلك بين ان يبدو لدى نار الوغى ونورها او في ظلمة الخفاء او في ثنيات الحوادث المفجعة او العلل التي تخترم الحياة رويداً رويداً بلا رحمة ولا اشفاق

وليس الرجل الشجاع من يكون صاحب بسالة وبأس فقط وانما هو ايضاً صاحب الجرأة الادبية والوطنية التي تدفعه الى ردّ الرأي المخالف والانتقاد الباطل والنميمة والاغتياب عاملاً بالمبادىء الحقة التي هي رائد الرجل المستقيم والوطني الصادق ولا سيما اذا عززها الضمير بضمانته وايدها بكفالته

وليعلم اولادنا ان من الواجب المقدس عليهم ان يحبوا ويحترموا من كانوا علة وجودهم وان لا شيء يعفيهم مما تحتم عليهم عند الولادة من الفروض التي تتزايد كلما تزايد العمر وليعلموا ايضاً انه يجب عليهم ان يساعدوا ويعطفوا على اخوتهم وذوي قرباهم مهما كانت درجة الاتصال بهم وان الواجبات العائلية هي من الزم ما يتحتم علينا القيام به

وليدركوا متى بلغوا سن الرجال وصاروا اهلاً لان يقوموا باعباء انفسهم انه يجب عليهم ان ينشئوا اسرة جديدة تكون كتكميل لبناء الاسرة التي درجوا منها

ولا يتوهمن البعض ان هذا الامر مما يجوز تقديمه او تأجيله او تركه بتاتاً متابعةً للرغبة او لهوى النفس . كلا ثم كلا . انه الواجب البشري الطبيعي الاجتماعي الذي لا مفر من قضائه ولا يحسبن ان عائدة الانسان من الزواج مقصورة على منفعة شخصية بل هي حاجة البلاد ايضاً تدعو الى تكثير ابنائها وتخليد ذريتها . وكل من لا يتزوج ولا يبني له بيتاً عند

القدرة على ذلك يكون شديد الأثرة محباً لذاته بل يكون قد قصر بواجب من اقدس واجبات الرجل والوطني معا . ومن المقرر ان حياة الفرد تدوم خالدة بالزواج فكما ان الماضي تسلسل منه باجداده كذلك هو يمتلك ناصية المستقبل بذريته . وبالجملة فانه حيث تكون الاسرة قوية تكون الامة قوية وكل شعب ينقاد مدفوعاً بفساد الادآب الى فصم عرى الاسرة وإضعاف رباطها فقل عليه السلام وانذره بسوء المنقلب وبئس المصير . اما اذا قام الفرد بواجبات الاسرة هان عليه القيام بواجبات الهيأة الاجتماعية وواجبات الوطن

ومن المعلوم ان بلادنا ديموقراطية وان حكومتها جمهورية وانه اذا جاز لبعض الذين خضعوا فيما مضى لنظام حكومة اخرى ان يتأسفوا على ذلك الماضي فما لا ريب فيه انه لا يوجد واحد منهم الا وهو يريدان يكون ولده ابن زمانه وابن بلاده

وسيكون شبابنا غداً ابناء الجمهورية فيجب ان يحملوا هذا الاسم مفاخرين وان تكون نفوسهم موطدة على تشريفه وتكريمه ذلك بان يطيعوا الشرائع والنظامات التي هي الدلالة على المكانة القومية واذا تبينوا ضرورة نقدها متذرعين الى ذلك بما لهم من حق التصويت والانتخاب والقدرة على هذا الامر وجب ان لا يلجأوا الى شق عصا الطاعة او الى العصيان او اتيان اي منكر يختل معه نظام البلاد وتقلق راحتها الداخلية

واذا كانوا من اهل الحرص على حريتهم وعلى حقوقهم لزمتهم رعاية حرية مواطنيهم وحقوقهم ايضاً والتنكب عما يدعو الى سن نظامات او التعويل على وسائل من شأنها التضييق على تلك الحرية وعلى تلك الحقوق

ولا تنتهي حدود الحرية الشخصية الا حيث تبتدىء مصلحة الدولة وسلامة الامن وتأييد المساواة واحترام ما للغير كاحترام ما للانسان نفسه

ومما ينبغي تفهمه ان الحقوق في البلاد الديموقراطية هي متساوية على السواء بلا استثناء بين طبقة واخرى بحيث لا يكون ميزة على الاخر بسبب ذكائه او علمه او نشبه او نسبه

ومع ذلك فاذا سلمنا بمساواة الحقوق فقد يوجد فرق بين الواجبات اللهم اذا نظرنا الى الامر من وجهته الادبية . وهذه الواجبات تزيد وتعظم كلما اشتدت قوة الانسان في جهاد الحياة وزاد ذكاؤه او تكاثر علمه او ماله وهو يحاسب اذ ذاك ازآء الامة عن تلك المزايا التي يزدان بها ثم لزمه ان يعطف على البائسين من اخوانه في الانسانية وان ينفق في سبيل مصلحة الجمهور والشؤون العمومية نصيباً من وقته ومن همته ونشاطه

وفوق ذلك فانه ميسور للانسان ان يبرهن في شتى الظروف والاحوال على انه ارقى مكانةً واعلى شأناً من غيره اذا كان القدوة الصالحة والمثال الحسن

وبعد فالوطنية هي خير حلية يتجمل بها الفرد من الامة واذا كان هذا الواجب مما يتحتم على ابناء اى بلاد فهي اشد تحتماً والزم وجوباً على ابن الجمهورية وابن فرنسا في القرن العشرين فالامآل عليه وحده معقودة والرجاء به منوط ولا سلطة دونه تستطيع ان ترشد الامة اذا ضلت ولا يد سواه ان تنتشلها اذا هوت من علوها ولا سيما ان بلادنا تكتنفها الاخطار من كل جانب فبينا نشاهد الشعوب حولنا تمتلىء كل يوم قوة وحياة وتزيد في نموها حتى يتجاوز الحد ويفوت غاية المأمول ننظر فترى انفسنا قد

وقفنا في تقدمنا كانما فقدنا مع النشاط عاطفة الثقة بالمستقبل وما يدخره لنا من مجد وفخار

ولا مشاحة ان حب الوطن يجب ان يشتد باشتداد الخطر وان يبذل في سبيله كل عزيز وغال من مال وحياة وبنين وان يتطرف حبه حتى يكون منهلا صافياً تصدر عنه القوة والشجاعة وما شاكلهما من الفضائل التي تولاها الاهمال فولت من الصدور ونسجت عليها عناكب العفاء فخلت منها النفوس فدونكم والنشاط ايها الفتيان واعملوا الايدي في حقلكم على ما جاء في الاسطورة تجدوا كنوزاً لا يكون لكم وحدكم نفعها بل للوطن ايضاً

دونكم والعمل في سبيل الوطن وليكن حبكم له بملء الفؤاد وبكل قوى الجوارح احبوا الوطن لماضيه ولمجده ولما انتابه من الويلات والكوارث احبوه لما يتمثل فيه من كل مظهر مجيد شريف ولتربته الخصيبة المباركة ولمائه العذب وسمائه الصافية

نعم احبوا الوطن لاجل كل ذلك ثم احبوه لكونه هو الام ولكونكم انتم الابناء وكفى به سبباً وليكن هذا الحب وهذا التفاني في سبيل الوطن ممتزجين بكل ذرة من ذرات دمكم ومتداخلين الى اخفى مكان من ضمائركم وسرائركم واعلموا ان هذه العواطف الطبيعية والغريزية ليست مما يتناولها الجدل فلا يثقلن هذا القول على اهل السفسطة اذ لا يصح ان تتهجم في الطعن على القواعد والمبادىء الاساسية التي هي الدعامة والقوام للهيأة الاجتماعية وان نوقعها تحت طائلة الاخذ والرد او ان نتهكم على ما يتداول النفس من فكر سام وخاطر نبيل وهو ما يعتبر في الحقيقة بمثابة جوهر الحياة بحيث اذا زال لم يعد لهذه الحياة من معنى او غرض شريف نعم انه

لا يجوز شيء من ذلك الا اذا جاز لنا ان ننقض اساس البناء او ان نحل اليأس محل الرجاء

والى جانب الوطن الذي هو اعز واقدس ما لدى الانسان يجب ان توضع الاسرة والشرف والواجب والاستقامة والعدالة وهي كلها عواطف تقوم عليها الاداب الطبيعية والاجتماعية بلا جدال ولا انكار ويتكون من محبتها واحترامها القاعدة الوحيدة التي تبطل وتلغى عندها شتى الاديان والمعتقدات في الامة الواحدة

وعلى هذه القاعدة الثابتة وهذا الركن المتين يخلق بالشبيبة ان تركز خيرها وايمانها فلا تكون قوية نشيطة الا اذا اعتقت نفسها من ربقة الريبة والشك في كل ما يهزل القوى الادبية ويمني العقل بالخور والضعف

هذا واني اذكر لكم في الختام ان وطننا لفي امس الحاجة الى رجال اصحاب ثقة وشجاعة وارادة فعسى يكون كتاب اولادي عاملا على ابلاغ هذه الامنية وتحقيق هذا الرجاء ؟

البقية تأتي